

التعددية اللغوية وأزمة الهوية الثقافية في الجزائر: بناء التنوع واستفحال التداخيات

رقاد الجيلالي

باحث . دكتوراه علوم

جامعة أوبكر بلقايد- تلمسان

محمد كحلي

باحث . دكتوراه علوم

جامعة وهران 2

ملخص: نحاول في هذا المقال استعراض التعددية اللغوية وتداعياتها في تأزيم الهوية الثقافية التي تطبع المشهد الثقافي المتنوع في الجزائر، والتي لا يمكن فهمها إلا من خلال الاستعانة بعملية تفكيك المكونات التاريخية، التي جعلتها مترسخة والتراكمات الثقافية والاستعمارية التي طبعت ذلك النظام اللغوي التعددي في الجزائر، وصعوبة إيجاد مساعي التجانس اللغوي لبناء المجتمع، التي تطرح عند كل محاولة لمسايرة الركب الحضاري، وخصوصا بعد تراجع اللغة العربية وتمدد اللهجات العامية التي نستطيع القول أنها سيطرت حتى على الحقل التعليمي والاكاديمي والاعلامي، حيث أصبحت التعددية اللغوية (الثنائية والازدواجية واللهجات) تعيق استمرارية التقدم والتجديد، نتيجة هستيريا الهوية الثقافية المرتبطة بتلك التعددية التي انبثقت عنها العوائق التي أغرقت كيان المجتمع الجزائري، الذي يعيش أفراده رحلة الاغتراب والصراع اللغوي، في كل المؤسسات الاجتماعية، من طرف الأنساق اللغوية المتعددة.

الكلمات المفتاحية: التعددية اللغوية، الهوية الثقافية، المؤسسات الاجتماعية

Abstract : In this article, we try to review the diversity of languages and their implications in the exacerbation of the cultural identity that forms the diverse cultural scene in Algeria, which can only be understood through the process of dismantling the historical components that made it entrenched and the cultural and colonial accumulations that typified that pluralist system in Algeria and the difficulty of finding the efforts of linguistic homogeneity to build a society that is raised at every attempt to keep pace with civilization, especially after the decline of the Arabic language and the expansion of scientific dialects that we can say that it even dominated the field of education academic and media, where Multilingualism, bilingualism, duality and dialects have hindered the continuity of progress and renewal result of hysteria cultural identity associated with that pluralism from which obstacles have emerged which overwhelmed the Algerian community whose members live the journey of alienation and linguistic conflict in all social institutions by the various linguistic formats.

Key words : Multilingualism , Cultural identity ,Social institutions.

مقدمة :

تعتبر الجزائر من الدول التي تعاني من تلك الأزمة اللغوية الخانقة، التي انفصلت من خلال مجموعة من الرساميل الثقافية والتاريخية، وخصوصا مع الاستعمارات والهجرات التي استوطنت المنطقة، مما حمل على "التعدد اللغوي" Multilingualism، وذلك نتيجة للتهجين اللغوي الذي مورس على المجتمع، ويشير مفهوم التعدد اللغوي في الأدبيات اللسانية عامة، إلى وضعيات تواصلية لغوية مختلفة، تختلف فيها اللغة المستعملة حسب الوضعية والسياق أو الحاجيات والغايات والأهداف، أي أننا نتحدث بأكثر من نظامين لغويين، وعلى هذا الأساس، نجد أن التعدد اللغوي يحتوي ما يسمى بالأحادية اللغة والثنائية اللغوية والازدواجية اللغوية¹، حيث تعتبر هذه التعددية بمثابة علاقة قوية في بناء الهوية الثقافية أو تحطيمها، وهي من أكثر الجدليات في المجتمعات المعاصرة، لأن التعددية اللغوية لها علاقة فاصلة وحاسمة في التوظيف اللغوي الذي تتبعه المجتمعات الحديثة، حيث يتسم هذا التوظيف بالحساسية والقلق الهوياتي الذي بدأت وتيرته تتصاعد، وخصوصا في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، التي تزعزعت هويتها الثقافية نتيجة التفريط أو الإفراط في استخدام ورقة اللغة العربية دون مراعات اللغات الأخرى، التي تحمل هويات ثقافية متباينة لا تمت للثقافة العربية بصلة، مع تغلغل اللهجات العامية واللغات الأجنبية، وخصوصا في المجتمع الجزائري الذي تظهر فيه أزمة الهوية الثقافية نتيجة عدم التعاطي معها ومعرفة التعامل مع التعدد اللغوي، وذلك "أن انعطاف اللغة على الهوية في عبارة تركيبية واحدة يتضمن تباينا في الجوهر، أعانت على إخفائه العادة من حيث هي طبع ملازم، وأكدته الأعراف البحثية في معظم تجلياتها. فاللغة ظاهرة اجتماعية وهي اصطلاحية بامتياز تستند إلى مكونين متلازمين مكون مادي حسي ومكون ذهني غير مادي، أما الهوية فظاهرة رمزية ليس لها أي تحقق مادي يربطها بعوالم الحس الوجودية، الهوية انتماء بينما اللغة اكتساب، والهوية نتوارثها وليس في اللغة أصواتها وألفاظها ودلالاتها"²، ويقول "محمد عمارة" بأن هوية الشيء ثابتة التي لا تتجدد ولا تتغير، وتتجلى وتفصح عن ذاتها دون أن تخلي مكانتها لنقيضها طالما بقيت الذات على قيد الحياة، إنها كالبصمة بالنسبة للإنسان يتميز بها عن غيره وتتجدد فاعليتها، ويتجلى وجهها كلما أزيلت من فوقها طوارئ الطمس، دون أن تخلي مكانها ومكانتها لغيرها من البصمات"³.

¹ - عبد العزيز بلقفي، التعدد اللغوي واللبس الدلالي وأثره على التعلم، تاريخ الاطلاع 2016/12/11، الساعة (22:14)، أنظر الموقع:

www. almothaqaf.com

² - عبد السلام المسدي، الهوية العربية والأمن اللغوي دراسة وتوثيق المؤلف، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، 2014، ص259

³ - محمد عمارة، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط1، 1999، ص6

فالارتباط بين اللغة والهوية يعطي لنا تلميحاً لذلك التطابق مع إشكالية اللغة والهوية في الجزائر التي تعاني من التسييس والأيدولوجيا التي أدخلت المجتمع والأفراد لرحلة اغتراب سيكولساني، انعكس على تأزيم الهوية الثقافية كحقيقة تبدي مدى العلاقة والتجاذب بين المفهومين، وذلك كما يقول الجرجاني أن الهوية هي "الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق"⁴ والماهية التي تعتبر خاصية للكائن الانساني دون غيره ولا وجود له بدونها، والتي تشكل اللغة إحدى المقومات الأساسية في بناء هويته الثقافية، فاللغة هي التي تصنع التفاعل بين الأفراد والجماعات داخل المجتمع، وهذا ما يعبر بحق عن قوة اللغة في صنع الهوية الثقافية، باعتبارها ذلك المركب الذي يعبر عن الخصوصيات والملامح الموحدة لجماعة من الأفراد أو أمة من الأمم، حيث يشتركون فيها من خلال التراكمات التاريخية والثقافية المساهمة في بناء البنية الثقافية والمعرفية، التي تعطي صهراً وتجانساً للأفراد أو الجماعات لأي أمة.

إذا لا يمكن الاكتفاء بتعليم اللغة دون الاعتراف بأنها عنصراً قوياً في تشكيل الهوية الثقافية وأن الأمة التي تستطيع تكيف تلك الفسيفساء والتعددية تكون لها القدرة على الحد من الأزمات الهوياتية، لأن أي تشنج يستطيع أن يحد من العلاقات والاتصال الثقافي، وقد يصل سوء التوظيف لتلك التعددية اللغوية إلى إشكالية حقيقية تعكس تأزم الهوية الثقافية للمجتمع، وبقدر التفاعل بين الأفراد والجماعات المشكلة للمجتمع تنمو وتتقوى وأواصرها وتشد لحمتها، لأن المجتمعات التي تساهم في بناء نفسها يجب أن تقوم بتفعيل ثقافتها على نحو منطوق وديناميكي، أي أن اللغة هي التي تعكس الهوية الثقافية للمجتمعات، إذ "أن ظاهرة الهوية في عمومها يمكن أن تفهم باعتبارها ظاهرة لغوية ووفق هذا يشير جزء أساسي مؤثر في البحث في مجالات متعددة لعلم اللغة الاجتماعي وعلم النفس الاجتماعي وعلم الإنسان الاجتماعي واللغوي إلى الأهمية المركزية للارتباط الحاصل بين اللغة والهوية ويظهر ذلك من خلال اتساق تصوراتنا بشكل سريع عن هويات بعضنا بعضاً بناءً على طريقتنا في الكلام"⁵.

فالتأزم الذي تعاني منه هويتنا الثقافية هو بدون شك من عدم القدرة بتوظيف تلك الفسيفساء اللغوية المتعددة في قضايا تنعكس بالسلب على الوضع اللغوي في الجزائر ما يستدعي إلى التساؤل الذي يؤدي بنا كجزائريين ما هو حال لغتنا وماهي علاقتها بهويتنا الثقافية؟

وماهي تداعيات الأزمة اللغوية على المؤسسات الاجتماعية؟

وماهي تداعيات الأزمة اللغوية على الهوية الثقافية المتنوعة في مجتمعنا؟

تاريخانية التعدد اللغوي في الجزائر:

⁴ - الشريف الجرجاني: التعريفات، دار عالم الكتب، بيروت، ط1، 1987، ص314

⁵ - جون جوزيف، اللغة والهوية: قومية - إثنية - دينية، تر: عبد النور خراقي، عالم المعرفة، الكويت، د(ط)، 2007، ص 18

تعتبر التعددية اللغوية في الجزائر بكل تنوعاتها اللغوية الثنائية والازدواجية واللهجات عن تلك الترسبات الثقافية والاحداث التاريخية التي عرفت المنطقة في القرون الماضية، فلقد تعدد الاجناس كما تعددت اللغات التي أثرت في الشخصية الجزائرية بتلك التعددية اللغوية والتنوعات الثقافية، فلقد تعاقبت على الجزائر حضارات ساهمت في بناء الهوية الثقافية للمجتمع الجزائري، بدءا بالحضارة الفينيقية التي مازالت بعض الثقافات التي أرسنها إلى غاية اليوم، والحضارة الرومانية التي تظهر ملامحها في الثقافة الجزائرية وخصوصا في الثقافة واللغة الأمازيغية التي اقتبست كثيرا من هذه الحضارة سواء في الجانب الثقافي أو اللغوي والتي مازالت آثارها المعمارية والفنية شاهدة على ثقافتها في الجزائر، إلا أن هذه الحضارات لم يكن بمقدورها فعل ما قامت به الحضارة الاسلامية مع بداية الفتوحات الاسلامية لشمال افريقيا، التي صبغت المجتمعات البربرية بصبغة عربية، بدءا بالدين واللغة التي كانت بمثابة الآلية الرئيسية في بناء الشخصية الامازيغية، من خلال الاندماج الذي حدث بين البربر والعرب وخاصة بعد الزحف الثاني مع قبائل بني هلال وبني سليم التي عربت البربر، من خلال الاندماج الذي حدث بينهم، فأقبل الامازيغ على تعلم اللغة العربية، مما أنتج تلك اللحمة اللغوية بين الامازيغية والعربية. حيث نرى أن الكثير من الالفاظ البربرية مقتبسة من العربية ما أدى إلى بناء لغوي صعب ومعقد بلهجتنا واللغة المغاربية عامة، وكان هذا "من الطبيعي أن ينال هذه اللهجة شيء من التغيير والتحريف لأن أسنتهم لم تتعود على أصوات العربية وطرائق النطق والتعبير بها، وقد تعدى هذا الانحراف إلى العرب أنفسهم الذين تأثروا بها، فإذا عربيتهم يشوبها التحريف، واستحال مع مرور الزمن إلى لون لغوي خاص متميز في نطاق العربية الواسع"⁶.

وقد طبع التزام البربر والعرب صورة من التزاوج اللغوي والديني والثقافي في بناء الشخصية الجزائرية والمغاربية عموما، حتى استتب الضعف للدولة الاسلامية وسقوط الأندلس التي ساهمت هجرات سكانها للمغرب الاسلامي بإعطاء بعض الملامح الأندلسية للمغاربية بصفة عامة، في حين أن الاحتلال الاسباني للسواحل الجزائرية أيضا أعطى ميزة أخرى من التعدد اللغوي في الجزائر، أو تلك الوفود "للمعمرين الاسبان التي استقدمتهم فرنسا للعمل في مختلف المناطق"⁷، وهو ما يظهر تجلياته في حضور تلك اللكنات اللغوية في الدارجة بالغرب الجزائري، عبر عدد كثير من الكلمات التي يتداولها الأفراد، أما الأتراك بعد طردهم للإسبان، فقد اقتصر لغتهم على البيئات والمناطق التي استوطنوها بالدرجة الأولى، التي مازالت بعض الكلمات التركية متداولة في بيئاتها، كما تشهد تلك المعالم الأثرية التي ما تزال تسمياتها باللغة التركية، إلا أن انتشار اللغة التركية والفارسية في اللهجات المختلفة في كل منطقة من القطر الجزائري، وهذا ما يؤكد

⁶ - فاطمة داود، المستوى اللغوي في لهجة الغرب الجزائري، مجلة حوليات التراث - العدد 05، جامعة مستغانم، الجزائر، 2006، ص 43

⁷ - ينظر : حنيفي هلال، صفحات في تاريخ منطقة سيدي بلعباس 1843-1954، ج1، دار الأصول، سيدي بلعباس، ط1، 2013، ص ص16-73.

"محمد بن أبي شنب (1869-1929)"⁸ في دراسته التي قام فيها بجمع الكلمات التركية والفارسية الكثيرة في اللهجة الجزائري لنيل شهادة استكمالها للدكتوراه حول (الألفاظ التركية والفارسية الباقية في اللهجة الجزائرية خلال الحقبة الاستعمارية. ولكن ما قام به الاستعمار الفرنسي مجرد في لهجتنا الجزائرية، فمازالت توابعه جلية في مجتمعنا. " رغم الصراع والمقاومة لرد سياسة فرنسا في محو الشخصية من تقاليد ودين ولغة إلا أنه نجح على مدى عدة أجيال في جعل الجزائريين يتعاملون في حياتهم اليومية باللغة الفرنسية، وذلك لأسباب عديدة؛ تجعل التعليم مقتصرًا على الفرنسية وحدها، وطول مدة الاستعمار، وعدم وجود نهضة حديثة كما حدث في المشرق. فسادت بذلك اللهجات المحلية مع الفرنسية كلغة مشتركة وكانت هذه سياسة فرنسا اللغوية"⁹، التي أرادت من خلالها محو الهوية الإسلامية بتركيزها على اللغة العربية ومعرفة الفرنسيين أن العربية هي الحصن الحصين للجزائريين، حيث خاضت فرنسا حربًا شعواء ضد طمس الهوية اللغوية قرابة 130 سنة، والتي تظهر تجلياتها بوضوح في الوقت الراهن في المجتمع الجزائري.

الصراع اللغوي في الجزائر:

تتعلق تجليات الصراع اللغوي في الجزائر من المقتضيات الراهنة، التي تعكس حقا وضع اللغة التي ظهرت أزمتهما جراء التفكير والخلخلة التي تعرض لها المجتمع الجزائري خلال الحقبة الاستعمارية، التي أدت "إلى هزة عنيفة مست آثارها على وجه الخصوص ركائز الهوية الجزائرية، وهذا ما جعل الفرنسيين ينجحون في خلق صراع لغوي مزدوج، فمن جهة جند الصراع بن اللغة العربية لغة الجزائريين ولغة دينهم، واللغة الفرنسية لغة المستعمر التي قدمت على أنها لغة التقدم والحضارة؛ ومن جهة ثانية جند الصراع بن اللغة العربية التي قدمها المستعمر الفرنسي كلغة شعب غاز لشمال إفريقيا، واللغة الأمازيغية التي قدمت كلغة السكان الأصليين لشمال إفريقيا. لقد نتج عن هذا الصراع ثالث أنواع من النخب والهويات: النخب (الهوية) المعربة والنخب (الهوية) المفرنسة والنخب (الهوية) الأمازيغية"¹⁰.

فمسألة التعدد اللغوي في الجزائر متعلقة بتلك السياقات المتنوعة التي درج المجتمع الجزائري على الخوض في تجربتها سواء التاريخية والاجتماعية والسياسية والثقافية، وخاصة المرحلة الاستعمارية، مما طبع المشهد اللغوي بتلك الفسيفساء اللغوية التي تطرح مشكلاتها بشكل أو بآخر في تازيم الهوية الثقافية، نتيجة التقاطعات التي تحدث بين الحاملين أو المتعلقين بهويات لغوية متباينة، حيث نجد أن: تلك

⁸- Voir le: Mohamed Bencheneb , Mots turks et persans conservés dans le parler algérien ,THÈSE

COMPLÉMENTAIRE,Présentée et soutenue devant la Faculté des Lettres d'Alger , 1922, droits réservés à l'Université d'Alger, 2012.,

⁹ - فاطمة داود، مرجع سبق ذكره، ص44

¹⁰ - غماري طيبي، "خمسون سنة من التعدد اللغوي في المدرسة الجزائرية صراع هويات ينتهي إلى الأمية"، مجلة المواقف للدراسات والبحوث في المجتمع والتاريخ، العدد (7)، منشورات جامعة معسكر، الرشد للطباعة والنشر، سيدي بلعباس، 2012، ص ص 47-48.

التقاطعات تنبثق من عدة متشربات ثقافية وعرقية لغوية تحين تلك النقاشات، التي تصل إلى حد التوتر الهوياتي في بعض المناطق، حيث يرفض البربري الاعتراف بالعربية ويتحدثون بالفرنسية، كشكل من أشكال الرفض للغة العربية، وهذا "ما نراه من تعليم للأمازيغية باللغة الفرنسية، فذلك قد يبعث في أجيالنا الإحساس والشعور بضعف الأنا، ومن ثم قد تنشأ فيه هوية لغوية غير هويته، فيدافع عنها ويتعصب لها، ظنا منه أنها منه، وذلك بالضرورة يفضي إلى تمزق أوشاج الأصالة الوطنية والتاريخية، وقد يتجاوز الأمر ذلك، كأن يطالب بلغة الغين الباريسية، على حد قول محمد البشير الإبراهيمي، ويؤمن أن الحرف الفرنسي جزء من تاريخه وأصالته"¹¹، ويقوم الناطقين بالعربية بالاستهجان بالأمازيغية ورميها بالبربرية والتخلف، كما لا يخفى على أحد سيطرت اللغة الفرنسية على مختلف المؤسسات والادارات والصراع الذي يدور بينها وبين التعريبيين، وصعود اللهجات العامية التي حققت ارتفاعا وتمددا كبيرا في المجتمع، فأصبحت متغلغلة في مختلف المؤسسات الاجتماعية وهي تعتبر كطرف فاعل في الصراع اللغوي الجزائري.

في حين أن القارئ للمشهد اللغوي التعددي في الجزائر يدرك أن الفلك الذي يحمل دوران تلك اللعبة الصراعية التي خلفها الاستعمار بين اللغة الأصلية (الأمازيغية) والعربية، ما توحى به أزمنا اللغوية بالدور الذي لعبه الاستعمار في خلخلة البناء الثقافي، ما أثر على اللسان واللغة على وجه التخصيص الذي انعكس على هويتنا الثقافية في الوقت الراهن، وخصوصا أن تلك الخلخلة تتجلى بصورتها الواضحة في اللهجات المحلية التي تصل في الخط بين أكثر من أربع لغات في بعض المناطق من القطر الجزائري تنصدها الفرنسية من بعد العربية، نتيجة الوحشية التي مورست على بنيات المجتمع بضرب الهوية اللغوية للمجتمع التي كانت اللغة العربية الفصحى تنصدر المشهد الثقافي والاجتماعي وحتى العلمي قبيل الاستعمار الفرنسي، إذ أن التعدد اللغوي في الجزائر حكمته أربع خلفيات تطفوا بشكل مركزي في تأزيم الهوية اللغوية التي انعكست على الهوية الثقافية اجمالا بدا (الخلفية التاريخية، الاستعمارية، التعدد اللهجي، والصراع الحضاري):

1- الخلفية التاريخية: تتمثل في السير التاريخي بين الأمازيغية والعربية ومدى الانسجام اللغوي الذي اعقب دخول المسلمين كدخيل بلغتهم التي اختلطت بالأمازيغية وعكف عليها البربر في مختلف المجالات حيث خرجت من رحم القبائل البربرية الكثير من العلماء عبر تاريخ الجزائر والمغرب الإسلامي الذين كتبوا بالعربية، وقد سار البربر والعرب بنفس السياق التاريخي واللغوي، الذي أسهم في بناء حركة علمية أمازيغية بلسان عربي، فهذا يوحي بالانسجام البربري العربي في مختلف المجالات وليس اللغوي فقط، حيث تشهد أيضا اللغة المغاربية على تلك اللهجة التي شكلتها الألسنية التزاوجية بينهم فهي تختلف

¹¹ - ولهة حسين، المازيغية في الجزائر، بين الفعل التربوي والبعث السياسي، أعمال الملتقى الوطني حول: - التخطيط اللغوي الجزائر: منشورات مخبر الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري بتيزي وزو، الجزء الثاني، ديسمبر 2012، ص 321

عن باقي اللهجات العربية وقد شهد المقدسي أن البربر " لغتهم عربية غير أنها منغلقة مخالفة لما ذكرنا في الأقاليم. ولهم لسان آخر يقارب الرومي"¹²، وبهذا الشكل يرى البربر أنهم اعتنقوا الإسلام وتعلموا لغته، في حين لم ينتكروا لهويتهم اللغوية بشهادة المقدسي حول اللسان البربري الذي يقترب من لغة الروم، كما يقول "جوزيف بوريلي j.bourilly" أن الإسلام له العامل الأكبر في تعريب البربر، فالتعليم الديني والصلاة كانت تجري باللغة العربية"¹³، ولكن "سعيد بن عبد الله الدارودي" يرى في كتابه "حول عروبة البربر"، وذلك بدراسة معمقة في علم اللغة المقارن واعتماده على التحقيق الذي استخدمه في المقارنة بين اللسان العربي بلهجاته مع اللسان البربري المتعدد اللهجات ليخرج في استنتاجاته، أن البربر هم عرب الهجرات القديمة الذين هاجروا من المشرق إلى الشمال الأفريقي مبرهنا عليها بالحجج اللغوية التي تثبت ذلك"¹⁴.

ولم يرى البربر عبر مسابرتهم للجنس العربي أن الأمازيغية أصبحت قاصرة أمام العربية، لأن العربية لغة دينهم بل حافظوا على الارثين معا لغة الدين (العربية) ولغة العرق (الأمازيغية) في الجزائر، وذلك أن "وتيرة الدخول في الإسلام كانت أسرع من وتيرة اعتناق اللغة العربية في الجزائر لذلك فإن أطروحة إلزامية الإسلام بالعربية خطأ واضح، وعرفت العربية والأمازيغية بتعايشهما لأكثر من عشرة قرون وظهرت المسألة اللغوية مع الجزائر المعاصرة وظهر معها التشنج"¹⁵. باعتبار اللغة لها دلالاتها الرمزية والثقافية المقدسة في مخيال الشعوب الناطقة بلغتها التي يعبرون بها عن هويتهم .

2- الخلفية الاستعمارية: قامت السلطات الاستعمارية بإحياء تلك النعرة اللغوية بين اللغة العربية والأمازيغية وتحينها في كل مرة، مما أزم الوضعية الثقافية للمجتمع وخصوصا بعد إقدام الدراسات الأنثروبولوجية التي قام بها المستشرقين الفرنسيين في الجزائر والتي انكبت في أغلبها حول البربر، وقامت السلطات الاستعمارية بتوظيفها سلبا بتفكيك هوية المجتمع التي انعكست فيما بعد بالدرجة الأولى في الخريطة السياسية، "وقد كان المنظرون والمفكرون الاستعماريون يؤكدون أن الإسلام واللغة العربية هما ركيزتا هذه الشخصية، لذلك لا بد من القضاء عليهما ، لقد أرادوا فصل الإسلام عن اللغة العربية، وفصل القانون عن الشريعة الإسلامية، وذلك لإحلال الفرنسية محل العربية، وإحلال القانون الفرنسي محل فقه المعاملات الإسلامية، وتحويل الإسلام إلى عقيدة لا سلطان له في المجتمع والدولة والحياة، وتحويل العربية إلى لغة ميتة تشبه اللاتينية"¹⁶، وكانت انعكاسات ذلك لأول مرة قبيل الاستقلال من خلال

¹² - المقدسي(محمد بن احمد)، رحلة المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، حررها شاكر لعيبي، ط1، 2004، ص225.

¹³ - عز الدين المناصرة، المسألة الأمازيغية في الجزائر والمغرب: التعددية اللغوية، أطروحة: علي فهمي خشم، دار الشروق، (ط، س)، ص98-99.

¹⁴ - للمزيد ينظر: سعيد بن عبد الله الدارودي، حول عروبة البربر: مدخل إلى عروبة الأمازيغيين من خلال اللسان، منشورات فكر، ط1، 2012.

¹⁵ - خولة طالب الإبراهيمي، المسألة اللغوية عند الجزائريين التعددية لا تلغي الوحدة الوطنية، تاريخ الاطلاع (2016/12/05)، الساعة (18:22)، انظر

الموقع: www.djazairss.com

¹⁶ - محمد عمارة، مرجع سابق، ص22.

الانقسامات التي حدثت في حزب الشعب الجزائري وكان أول بزوغ للارزمة البربرية سنة 1945 بعد مطالبة « واعي بني » بإنشاء منطقة موحدة لجميع السكان المتكلمين بالقبائلية ولكن اللجنة المركزية لحزب رفضت هذا الطلب وقد ظهرت بوضوح في مؤتمر أكتوبر 1946 ثم بدأ التشكيك في عروبة الجزائر، ولكن بعد نجاح « رشيد علي يحيى » في مؤتمر حركات انتصار الحريات الديمقراطية وصبح عضوا في لجنته الفدرالية بفرنسا قام بدعم « واعي بني وعمر ولد حمودة » في إنشاء حركة شعبية للبربرية ورفض أية فكرة في اعتبار الجزائر عربية اسلامية¹⁷ عبر توظيف تلك النزعة العرقية، التي أدت إلى انقسام حزب الشعب الجزائري.

لكن هذه الأزمة لم تنتهي بل ازدادت ضرورتها بعد الاستقلال مباشرة نتيجة التفكيك والتشكيك الذي استخدمته فرنسا من التمييز وإحياء النعرة والعصبية بين العرب والبربر حول وضع اللغة العربية كلغة رسمية للدولة الجزائرية في الستينات من القرن المنصرم، وصدامها بعائق اللغة الامازيغية كلغة أصلية، وفسح المجال لسيطرة الفرنسية التي تبنتها النخب الفرنكوفونية، التي أعطت دفعة قوية للصراع اللغوي في الجزائر بعد مشروع التعريب الذي خلق الهوة بين التيارات اللغوية الثلاث، مما سبب أزمة حقيقية للغة العربية الفصحى التي أوغلت بهذا الشكل في رحلة اغتراب حضارية تتسم بطابع العمق والشمول وفي عمق هذا الاغتراب تعلوا للسطح اللهجات المحلية التي تسيطر على الطابع الثقافي والتعليمي وحتى الاكاديمي للجزائر، مما أعطى لبعض النخب مسوغات لإدراج الدارجة أو العامية في المقررات الدراسية، وذلك ما سبب الاغتراب اللساني للعربية الفصحى تماما، الذي يعتبر كأكثر الازمات بروزا في المجتمع الجزائري وفي تجلياتها التي تعبر عنها تلك الإنكاسة لهويتنا الثقافية برمتها ولكن "رغم كثرة استعمال الدارجات إلا أنها ليس لها توجيه تأثيري في الوضع اللغوي كما هو الحال في اللغة الفرنسية، وهي اللغة الأجنبية؛ لكن بحكم عوامل سوسيوثقافية، والتعميم الفائق لها على حساب اللغة العربية أضحت مستعملة ولها تأثير في المجتمع، وتتسع بشكل دائم خاصة في السنوات الاخيرة، علماً أنّ الخطاب الناطق بالفرنسية يستند بصورة جوهرية إلى اعتبار الحداثة وإلى عوامل نفسية واجتماعية¹⁸ التي تضفي عليها الشرعية بتعبير "بورديو"، مما يعطي لها قدرة في التأثير والهيمنة على الحقل اللغوي في المجتمع.

3- خلفية التعدد اللهجي: إن خلفية التعدد اللهجي التي تعبر عنه اللغة العامية من المسائل الرئيسية التي طفت على السطح لتتشد لنفسها سياسة لغوية تريد أن تملئها في المسار اللغوي الزاهن للمجتمع، حيث تقلصت اللغة العربية أمام الدارجة وقد لا يخفى على هؤلاء إذا كاشفناهم بالحقيقة جديدة تخلقت في رحم الاحداث الكونية غير المسبوقة، وهي أن اللهجات الاجنبية لم تعد هي العدو الأول للغة العربية وانما

¹⁷ - ينظر إلى: عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، دار الغرب الاسلامي، ط1، 1997، ص318.

¹⁸ - نصيرة زيتوني، مجلة جامعة النجاح للأبحاث العلوم الإنسانية (المجلد 28) (10) واقع اللغة العربية في الجزائر، 2014 قسم اللغة العربية، آية الآداب، جامعة حائل، السعودية، ص2159.

العدو الذي باستطاعته ان يجهز على العربية فيذهب بريحها هو اللهجات العامية حين تكتسح المجال الحيوي للفصحى ولاسيما حين تغزو قلاع المؤسسات التعليمية وقد طفق "طه حسين" محذرا من آفة انتشار العامية في التعليم وخصوصا ما نقله في كتابه "نقد واصلاح"¹⁹ ما أدى إلى ظهور بعض الأطراف التي تنادي أو ترفع شعار الداريجة واستخدامها في المقررات الدراسية، حيث شكلت هذه الشعارات ضجة واسعة في الأوساط الاجتماعية وقد لقيت استهجانا كبيرا، وهذا أصبح يسبب أزمة حقيقية تؤكد الانتكاسة الهوياتية للمجتمع الجزائري في جانبه اللغوي. "فمسألة تقريب العامية من الفصيحة أمر يتعلق بالزمن الطويل، فليس من الممكن القيام بمشروع أو بحث للوصول إلى هذا الهدف الخطير ومتعلق بالزمن، إن خير الوسائل الكفيلة بتحقيق هذا هو نشر العلم والثقافة بين أبناء البلد الواحد بحيث يتيسر لجميع أبناء البلد قسط من العلم والمعرفة ومن شأن هذا أن يعمل على رفع مستوى اللغة المستعملة، التي هي قريبه من الفصيحة ونستطيع أن ندلل على قربها من الفصيحة إذا نظرنا إلى اللغة التي يستعملها المثقفون اليوم في محادثاتهم وفي استعمالاتهم اليومية، فهي لغة في مجموعها تكاد تخلو من اللفظ العامي الدخيل، فمجموع ألفاظها على العموم فصيحة ويبدو قربها من الفصيحة إذا وازنا بين هذه اللغة التي يستعملها المثقف وهو من أسر جاهلة واللغة التي يستعملها سائر أفراد أسرته والتي هي موعلة في العامية الداريجة"²⁰، فقد رسمت اللهجات لنفسها المسالك في مختلف الحقول والمؤسسات الاجتماعية التي سيطرت عليها نتيجة الضعف اللغوي الذي تعاني منه مختلف الشرائح الاجتماعية فتقبلت مبررات الداريجة بصعوبة العربية الفصحى وعدم مقدرتها في اتقان فنونها اللغوية.

4- خلفية الصراع الحضاري: فهي التي بدأت تعبر عن بروز ذلك الصراع الفرنكفوني والانجلوسكسوني المتباين في فرض النسق اللغوي الذي يساهم في استخدام اللغة التي تعطي المجتمع القدرة على مسايرة الركب الحضاري، باعتبار الإنجليزية لغة العلم والتقدم، أمام نظيرتها الفرنسية التي ينظر إليها أنها لغة المستعمر وأنها لغة قد تخلفت عن الركب الحضاري، ولكن تشبث بعض الأطراف والنخب بنسقتها لأنها تضمن مكانتهم وبقاءهم يستدعي رغبت هذه النخب في "بقاء اللغة الفرنسية اللغة الرسمية ولغة التعليم حفاظا على ثقافتها وحرصا على بقائها تتكلم اللغة التي تعلمتها، وخوفا من أن لا تستطيع تعلم اللغة العربية، فتخشى أن لا تبقى في مراكزها التي هي فيها وحجتها في ذلك أن اللغة الفرنسية لغة عالمية وأنها لغة من لغات العلوم الحديثة"²¹، كما أن بروز بعض الأطياف التي تنادي بتطبيق لغة الإنجليزية التي يعتبرونها لغة العلم والحداثة والعولمة، وأن المجتمعات التي مازالت تتبنى اللغة الفرنسية هي مجتمعات لا تستطيع مزاوله التطور الحضاري، فهذه المسألة أصبحت تطفو للسطح باعتبارها من الأزمت

19 - عبد السلام المسدي، مرجع سابق، ص 262.

20 - مهين حاجي زاده، فريدة شهرستاني، صله اللهجات المعاصرة بالفصحى وأثرها فيها، فصلية دراسات الأدب المعاصر الفارسية والعربية، السنة 3، العدد 11، جامعة آزاد الإسلامية، ذو القعدة 1432، ص 38.

21 - محمود شاكر، التاريخ الاسلامي: التاريخ المعاصر لبلاد المغرب، المكتب الاسلامي، ط2، 1992، ص 334.

القادمة لخلق الصراع اللغوي من جديد بين تيار له وزنه وثقله الثقافي والاجتماعي، وبين تيار بدأ يرسم لنفسه معالم الضمور في المشهد اللغوي الجزائري.

أزمة التعددية اللغوية وتداعياتها على المؤسسات الاجتماعية :

إن تداعيات التعددية اللغوية تظهر تجلياتها وتداعياتها بصورة واضحة لا تخفى على أحد في هذه المؤسسات الثلاثة، التي تعتبر أزمتهما جلية فيما تعانیه الجزائر من التأزم اللغوي وانعكاساته على وضع المجتمع الثقافي والهوياتي والاجتماعي :

1- الإدارة والمؤسسات: تعتبر المؤسسات الجزائرية وإدارتها تلك الصورة النمطية التي تظهر فيها تجليات اللغة حيث أن اللغة المعتمدة في مختلف مؤسساتنا هي اللغة الفرنسية التي تتربع في مختلف الوثائق التي تصدر عنها وإن أغلب المسيرين ينتمون إلى ذلك الحقل الفرنكفوني الذي مازالت تحميه اللغة الفرنسية فبالرغم من الأهمية التي يتميز به حقل الإدارة والمؤسسات إلا أن الدولة لم تستطع القيام بتعريب الوثائق نتيجة الضعف الذي مس القطاع المعرب لعدة أسباب منها، ضعف الوسائل وعدم معرفة الطبقة المعربة بالأنظمة الاقتصادية وصراعها مع الأمازيغية الذي فسح المجال للفرنسية في السيطرة على مختلف القطاعات المؤسساتية، وذلك لمعرفة هذا التيار بالأنظمة والقواعد الاقتصادية التي تساهم في بناء الاقتصاد الجزائري ما أعطى تهميشاً للعربية خصوصاً لهذا القطاع، ومازالت تلك الأزمة إلى اليوم، حيث لم تستطع الدولة تعريب الوثائق والسجلات الإدارية، فأصبحت تشكل إحدى العوائق للطبقات المعربة التي تخوض في غمار الحقل المؤسساتي والإداري وعدم معرفتهم بالفرنسية، حيث شكلت هذه الأزمة عائقاً أمام التطور الاقتصادي. فالتعليم يتم في جانبه الأكاديمي باللغة العربية ولكن الواقع الإداري والمؤسسي مفرس، مما يرسم أزمة اقتصادية تعتبر اللغة فيها سبباً محورياً في تخلف الوضع التنموي والاقتصادي والتخلف الذي ينعكس بموجبها على الهوية الثقافية لأن الاقتصاد يعتبر هو البناء التحتي لتطور أي دولة ومجتمع.

2 - التعليم: يعبر حال التعليم في الجزائر عن أزمة حقيقية تنصدها الدارجة أو العامية بصورة جلية التي تمددت وتعاضم شأنها والتعامل بها في المؤسسات التربوية تتبعها اللغة الفرنسية، باعتبارها اللغة التي ينظر إليها أنها لغة التقدم والتحضر والحدثة التي تشكل هيمنة على الجامعات، من خلال استخدام اللغة الفرنسية الذي سمح بتراجع اللغة العربية وشيوع الألفاظ الفرنسية، وإحلالها محل العربية في مختلف مجالات الحياة الأكاديمية في قاعات المحاضرات والاجتماعات وفي مختلف النشاطات والفعاليات الأكاديمية. وتأخذ هذه الإشكالية طابعاً سيكولوجياً يتمثل بوجود اتجاهات سلبية متنامية إزاء اللغة العربية الفصحى، تتمثل في تنامي ظاهرة ازدياد المتكلمين بها والنظر إليها بوصفها لغة انفعالية متواضعة

لا جدوى من تكلمها وتوظيفها في أي مستوى من المستويات التفاعلية في الجامعة²² مما سمح بتراجع مستواها .

فأمام هذا التراجع للغة العربية الفصحى الذي أخلى المكان للعامية واللهجات بالدرجة الأولى والتي لا تستطيع لتزقي لأن تكون لغة علم وكذلك اللغة الفرنسية وجدت الفراغ اللغوي في الساحة العلمية وتآزم الواقع اللغوي في الجزائر مما أدى إلى انحسار اللغة العربية لأن الطبيعة تأتي الفراغ فقد عوضت الدارجة واللهجات والفرنسية اللغة العربية فقد أجرى الدكتور "صالح بلعيد" خطاطة سوسيولسانية افتراضية للوجه الاجتماعي للغات بالجزائر فلاحظ أن استعمال الفرنسية يمس أكثر المقامات، وتأتي الدارجات في المرتبة الثانية والعربية الفصحى في المرتبة الثالثة، وأما المحليات فكل واحدة منها أوضاعها، فنجد القبائلية لها وضع متميز عن الأخرى رغم أن مجالها محدود بعض المحليات تقريبا لا يذكر استعمالها مثل الشلحية التي توظف في بعض الأماكن القريبة من وجة ولها شساعة كبيرة في المملكة المغربية، ومن خلال هذا نجد وضعيتنا توسم بازدواجية لغوية، حيث أن الأمازيغية تستعمل في مقام لا تستعمل فيه العربية الفصحى، وكذا الفرنسية²³، وتستعمل اللغة في توزيعاتها حسب المتكلمين في المؤسسات التعليمية بين المناطق حيث تختلف استعمالاتها حسب قوة الاستعمال حسب اللغة أو اللهجة الغالبة ويمكن حصرها في ثلاث أو أربع لغات، العربية، الأمازيغية، الفرنسية واللهجات العامية التي غزت المؤسسات التعليمية.

وهذه الأنماط الواصفة للوضع اللغوي الجزائري تجعل الطفل الجزائري مزودا بنسق لغوي خليط عربية دارجة أو أمازيغية فإذا انتقل إلى الحضانة، فإنه يواجه بلغة فرنسية مخلوطة بعامية أو أمازيغية ثم ينتقل إلى المدرسة ليجد لغة جديدة وهي العربية الفصحى، وقد يوظف المعلم العامية في تلقين دروسه، وتراه يواجه الازدواجية (Diglossie) أو الثلاثية مما قد يشكل له عقدة في نموه اللغوي والمعرفي والفكري، وربما يخلق له اضطرابات نفسية²⁴ تعيق المسار الدراسي للجزائريين، نتيجة الاختلالات التي تتميز بها اللغة ونتيجة التباين الكبير بين الدارجة التي درج المتعلمين على تعلمها وبين اللغة التي تعلم في المدارس التي تعتبر قريبة من الفصحى وليس الفصحى بحقيقة، لأن العربية الفصحى تعتمد بشكل كبير على المعرفة بفنونها وقواعدها النحوية والصرفية وغيرها، فبهذا الشكل تعبر المنظومة التعليمية في الجزائر عن أزمة حقيقية في التوظيف اللغوي داخل المدارس والهياكل الأكاديمية التي لم تسلم من الأزمة اللغوية التي انعكس بالسلب على الهوية الثقافية للفرد الجزائري والمجتمع .

22 - علي أسعد وطفة، إشكاليات العربية وقضايا التعريب في جامعة الكويت: آراء عينة من طلاب جامعة الكويت ، العدد39، مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية، الكويت ، ط1، 2014، ص 35.

23 - أحمد بناني، حتمية التخطيط اللغوي لصيانة اللسان العربي في الجزائر أعمال الملتقى الوطني حول: التخطيط اللغوي ، مرجع سابق ، ص33-34

24- المرجع نفسه ص34

3 - الاعلام: يعتبر الاعلام بكل أنواعه المسموع والمقروء والمرئي هو المعطى الحقيقة في عكس الصورة الحقيقية للهوية الثقافية وتشكل اللغة العنصر الالهم والمركزي في بناء الصورة الحقيقية للإعلام الجزائري، لكن ما يمكن ملاحظته أن الاعلام الجزائري يعاني أيضا من انعكاسات الأزمة اللغوية لأنه جزء منها، فنرى اللغة المستعملة في أغلب البرامج الاعلامية بأنواعها حيث تأتي لغة الاعلاميين والصحافيين إما " فصحي مثخنة الجراح بالأخطاء والتجاوزات اللغوية وإما عامية فجة"²⁵، وتكون الدارجة أو العامية بمثابة هجين مختلط من اللغات التي تنصدر مشهدنا الاعلامي فيه الفرنسية بالدرجة الأولى أو تغليب لهجة الوسط والعاصمة على باقي اللهجات الوطنية حيث تسيطر على الاعلام الجزائري تلك اللهجة المفرنسة التي تعكس حقيقة الأزمة اللغوية في الجزائر فبالرغم من التحضير والمراجعة التي يقوم بها الصحفيون والكتاب إلا أن الكثير منهم أو جلهم لا يستطيع التخلص من الترسيبات اللغوية التي تمت بصلتها إلى أزمة الوضع اللغوي في المجتمع، التي انعست مجرياتها على مختلف هياكله وأفراده. فهم يقعون في الاخطاء اللغوية عند تحدثهم أو كتابتهم باللغة العربية خصوصا أن لغة الاعلام هي التي تعطي تلك الصورة في الرقي أو الانحطاط لأفراد المجتمع من خلال اتخاذها كمعيار للصواب اللغوي، "لما أعرفه من أثر للغة الاعلام في الارتقاء بلغة الناس أو الانحدار بها"²⁶، لما تتميز به من القوة التي تتبع من مخاطبتها لمختلف الطبقات الاجتماعية دون حدود، "ونظرا للمستوى اللغوي في الإعلام العربي والجزائري خاصة، فإنه لا يمكن مطالبته بمحاكاة اللغة الموجودة في الكتب القديمة، ومخاطبة المتلقي الذي يعاني ضعفا بها، وفي الوقت نفسه لا يمكن السماح له باستعمال العامية والدارجة بدلا عنها، وعليه فالإعلام بحاجة إلى استعمال هذه اللغة الميسرة"²⁷، وذلك يعني أن سلامة مسلك الصحافة والاعلام له دور كبير في التأثير على بناء الهوية الثقافية التي تنطق من الأزمة اللغوية التي يعاني منها المجتمع الجزائري الذي درج إعلاميوه على اللغات العامية في مختلف البرامج دون اعطاء اي قيمة للغة العربية الفصحى التي تهتمش في الكثير من القنوات وحتى الجرائد والصحف التي تستعمل اللغة العامية في بعض الاحيان كتعبير عن أزمة حقيقية يمر بها المجتمع في زيادة تعقيد الوضع اللغوي الذي ينقلب سلبيًا على هويتنا الثقافية.

التنوع الثقافي اللغوي وتداعياته على الهوية الثقافية:

تشكل التعددية الثقافية اللغوي عدة إفرازات تتعكس بالسلب على الهوية الثقافية للمجتمع الجزائري نتيجة التوظيف السلبي وعدم الاستثمار فيها وصهرها لتصبح تنوعا ثقافيا يرقى بالوضعية الثقافية للمجتمع ومن ضمنها هذه التداعيات التي تطفوا بشكل ظاهر وهي:

²⁵ - أحمد مختار عمر، أخطاء اللغة العربية المعاصرة عند الكتاب والاداعيين، نشر عالم الكتاب، ط2، 1993، ص21

²⁶ - أحمد مختار عمر، المرجع نفسه، ص19.

²⁷ - نصيرة زيتوني، مرجع سابق، ص2173.

تعاضم اللهجات:

إن تعاضم التعدد اللهجي وتمدها للقطاعات الحساسة يعتبر بمثابة الأزمة الحقيقية حيث ازاحة اللهجات اللغة العربية الفصحى حتى من الحصون والقلاع التي تعتبر بمثابة القنوات التي تمثل فيها الفصحى الاطار الرئيسي، فما تشهده أزمة الهوية الثقافية وتداعي التعدد اللهجي على الأماكن المركزية في بناء الهوية كالتعليم والاعلام التي عصفت به العامية الدارجة بالعربية الفصحى وحلت مكانها ما طبع الضعف والتسيب الفكري والثقافي على مختلف الاطر التي انعكست عليها هذه الأزمة، لأن هذه المراكز والمؤسسات تعتبر بمثابة العنصر المؤسس للهوية الفردية والجماعية لأي مجتمع، فهي التي تعكس تطور المجتمعات لكن انعكاس اللهجات المتعددة في المجتمع أدخل اللغة العربية في اغتراب حضاري له تداعياته على الهوية الثقافية التي لا تقوى على مجابهة التحديات الحضارية باعتبارها أقصى حد من المراكز التي تمكنها من قيادة المجتمع في شد وأصره الثقافية والاجتماعية والعلمية التي فرضت اللهجات في مكانها، نتيجة لعدة أسباب كانت بمثابة العوامل الأساسية التي غيبت اللغة العربية الفصحى، وهي التهميش الذي طالها من أبنائها أو من طرب الآخرين، ودخولها في صراع مع الرفضين للتعريب مع ضعف الوسائل التي تستعمل في المؤسسات التي تشرف على اللغة العربية، كما أن هناك سبب رئيسي يحتج به الكثيرين وهو صعوبة اللغة العربية وتخلفها وعدم قدرتها على التطور لترقى لمزاولة التطور والحدثة، فهذه العوامل ساهمت في تهميش الفصحى التي فسحت المجال للهجات العامية لتفرض نفسها وتسيطر على مختلف القطاعات الحساسة التي أزاحت منها اللغة الفصحى، الذي تعبر عنه تأزم الهوية الثقافية نتيجة تداعيات التعددية اللغوية عليها.

الجهوية الثقافية :

هذا التجلي التعددي أصبح يوسع تلك الهوة بين الثقافات المتنوعة وتباعدها وخلق تلك الجهوية التي تبني استقرارها على لغتها، التي ترى أنها موصولة ببقائها وشخصيتها واختلاف تلك اللغات بين حتى أبناء المنطقة الواحدة يوحى بالتشظي وعدم التجانس بالرغم أن بعضها منفصلة من اللغة العربية الفصحى، وهذا يطبع ذلك المشهد اللغوي التعددي عبر تلك اللهجات العامية (لهجة الوسط والشرق والغرب والجنوب وتختلف حتى لهجات تلك المناطق عن بعضها)، مما أصبح يخلق نوعا من الجهوية المفرطة وهذا دون الضمور في اللهجات واللغات البربرية الامازيغية الأصلية التي نعجز عن توظيفها في مسار الانصهار الهوياتي ولا يمكن التغاضي عن الأزمة الهوياتية للثنائية اللغوية بين العربية والفرنسية التي تلقي مسوغاتها المرتبطة بالحقبة الاستعمارية. فهذا يؤشر على زخم من التنوع الثقافي الذي يصعب صهره تحت تشبث كل هوية بلغتها التي تنتفس مشرباتها الثقافية وتحنينها عند كل قضية (سياسية، ثقافية، اجتماعية)، ترى أنها تهدد مكوناتها الثقافية، التي أصبحت تصبغ المجتمع بنوع من التصدع والتوتر الذي

يفضي إلى أزمة التجانس والجهوية حتى وإن أخفت حقيقتها، وهذا يعتبر كشكل من أشكال هستيريا الهوية الثقافية التي توحى بها التعبيرات المتباينة بين الأفراد ذوي الانتماءات اللغوية المختلفة، وبقاء اللغة العربية تعاني من مخلفات التعدد اللغوي الشائك والمتنوع، الذي لا يمكن تقنيه إلا من خلال إبراز مجموعة من القراءات الإبستمية التي توضح لنا المسالك لفهم التعدد اللغوي والاستفادة من التنوع الثقافي المنفصل عنه تاريخيا دون توظيفها في الصراع والجهوية التي تطفوا للسطح في المجتمع الجزائري وارتباطها باللغة أو اللهجة (شأوي، قبائلي، عربي، قبلي، تارغي، مزايي، شلحي) فهذه التوظيف للهوية المرتبطة باللغة يحين في الكثير من الأحيان الجهوية والتي تصل في بعض المناطق إلى حد الجهوية المفرطة.

صراع التيارات الفكرية:

إن من أكثر الازمات التي شكلتها التعددية اللغوية المرتبطة بالانتماءات السياسية والفكرية التي تبنتها الاحزاب بعد الاستقلال، حيث أن "هذه الاحزاب كلها قد ساهمت في استقلال الجزائر ولكن مع وضع العربية كلغة رسمية والمطالبة بالتعريب بدأت الرؤى المتباينة تظهر للعيان حيث قامت الاحزاب الاسلامية باستغلال اللغة العربية كورقة ضد الاحزاب الأخرى مما جعلها ترى أن اللغة العربية هي حكر للتيارات الاسلامية والقومية في الحزب الحاكم ما أعطى تلك الايحاءات بربط اللغة العربية بالتخلف والاسلاموية وخصوصا بعد رفض اللغة الامازيغية كلغة وطنية في الدستور"²⁸، ما عجل بظهور الأزمة البربرية التي طالب منظرو هذا الاتجاه بجعل اللغة الامازيغية كلغة وطنية. دون أن ننسى التيار الفرنكفوني الذي كان له الدور الكبير في زعزعت التعريب في الجزائر بسبب دخوله في صراع مع التيار الاسلامي الذي استفرد بورقة اللغة العربية باعتبارها كشرعية له، حيث رأت التيارات الأخرى أن ورقة التعريب أصبحت تهدد مكانتها ما أدى إلى التقليل من حدة التعريب، لأن جل المراكز الحساسة كانت في يد التيار الفرنكفوني الذي كان يرى أن اللغة العربية لا تستطيع مسايرة التطور الحاصل في العالم لأنها ليست لغة للعلم والحداثة .

هذا التعدد اللغوي أعطى تنوعا فكريا استغلته التيارات الفكرية المتباينة الرؤى في تأزيم الهوية الثقافية فالتعريب استغلته الحركات الاسلامية في كثير من الاحيان كمبرر ضد الهويات اللغوية الأخرى "وذلك ان قوة الخطاب الاسلامي مستمدة من قوة الدفاع عن التعريب لأن الجهات الفرنكوفونية كانت دائما تحاول خلط الأوراق بين الاسلام والعروبة"²⁹، في حين أنها جعلت اللغة الفرنسية لغة الحداثة التي يجب الاعتراف بها كلغة للتقدم ومزاولة الركب الحضاري دون اعتبارها لغة المستعمر فقط، فخلق تلك الهوية والتصدع بين التيارين العروبي والفرنكفوني التي مازالت ترسباته وتداعياتها ظاهرة في الهوية الثقافية التي

²⁸ - عز الدين المناصرة، مرجع سابق، ص 21.

²⁹ - جيلالي كويبي معاشو، مقارنة سوسولوجية للمد الاسلامي لجزائر ما بعد الاستقلال ، المواقف : مجلة الدراسات والبحوث في المجتمع والتاريخ، منشورات المركز الجامعي مصطفى اسطنبولي، معسكر، عدد خاص 2008، ص 219.

تعكس مرآتها اللغة للمجتمع الجزائري، من خلال الهياكل والمؤسسات الاجتماعية والسياسية التي تعتبر صورة من صور التعدد اللغوي الذي طبع التنوع الثقافي المتصارع حول رفض كل تيار لثقافة وهوية التيارات الأخرى، وهذه بمثابة أزمة حقيقية في عدم صهر وتوجيه ذلك التنوع في جانبه الإيجابي بل يوضع في الكثير من الأحيان بالسلب، كما لا ننكر أن الدور الكبير في تهميش هذا التنوع مآله للسلطة السياسية التي تستثمر فيه بضرب كل هوية بالأخرى نتيجة التسييس والأيديولوجيا التي تغلب عليها المصلحة السياسية .

الصراع اللغوي الرمزي:

إن الصراع اللغوي الرمزي يتم في طرقة الرمزية فيمارس ذلك العنف الرمزي المستتر بدلالة "بورديو P. Bourdieu³⁰، مما يخلق نوع من الانكسار لبعض اللهجات لا ينظر إليها أنها تنوع لغوي له مكوناته الثقافية والتاريخية بل ينظر إليها بازدراء مكوناتها اللغوية وتهوين الأفراد والجماعات التي تنطق بها، مما أصبح بعض الأفراد يعيشون حالة من الاغتراب نتيجة الرفض للهجاتهم حتى وأن اخفوا ذلك ولم يصرحوا به، نتيجة ممارسة العنف اللغوي من اللهجات الأخرى وخصوصا تلك اللهجات التي تكون منطوقاتها اللغوية مبنية على "القاف" التي تحل مكان "الغين"، وهي منتشرة في الكثير من الولايات الداخلية والهضاب، فهذا التنوع اللغوي الذي صنع ثقافة أفراد الذين أصبحوا يعيشون تلك الحالات السيكولسانية مع بقية الجماعات المغايرة، وذلك أن اللغة لا تقيم بين جماعتها بل مع اللغات الخارجة عن نطاقها، مما يشكل ذلك التصادم الرمزي بين اللغات وحتى اللهجات صراعا رمزيا مستترا ينعكس على الحالة النفسية للأفراد والجماعات التي تتباين في الألفاظ في أغلب الأحيان، حيث تقسم الجزائر حسب تلك اللهجات واللغات سواء في اللغة العربية أو الأمازيغية، فنجد الصراع بين مثلا الأمازيغية والشاوية كمحاولة للهيمنة عليها وضمها، ومن نتائج هذا الصراع أيضا ذلك الاغتراب الذي انعكس على البيئات الأمازيغية التي تبدي تفرسها كردة فعل لتلك الحالة السيكولسانية التي خلقتها النخب المعربة ضد الأمازيغية وهو صراع رمزي تبدي اللغة مكمونه في المجتمعات البربرية كمعاداة للعربية.

خاتمة:

تعتبر معركة اللغة وتداعياتها على الهوية الثقافية من المراهنات التي ما تزال تلحق بالمجتمع الجزائري تلك التوابع السلبية في مختلف الأنساق والمواقع الاجتماعية والثقافية وحتى السياسية، نتيجة عدم قدرة الدولة على صنع واقع لغوي يسمح بالرقى والتطور بالمجتمع من الجوانب السلبية التي فرضتها تلك المخلفات الاستعمارية والتاريخية والثقافية التي توظف فيها اللغة بالسلب، مما انعكست هذه الوضعية على

³⁰ - ينظر إلى: بيير بورديو، العنف الرمزي: بحث في أصول علم الاجتماع التربوي، تر: نظير جاهل المركز الثقافي العربي، ط1، 1994.

الهوية الثقافية نتيجة عدم القدرة على صهر المجتمع في هوية موحدة بقلب لغوي يمكن أن يستجدي إخراجنا من مخلفات الأزمة اللغوية بين الأمازيغية والعربية التي تداعت عليها اللهجات واللغات الاستعمارية كالفرنسية وهذا لعدم فهم القائمين على شؤون اللغة بخطر الآثار السلبية لبقاء الأزمة اللغوية واستتبابها في جسد المجتمع ولسانه، مع الاستمرار في تهميش الفصحى وعدم إعادة بناء الذهنية الجزائرية حول بنية هويته اللغوية التي تطرح هل نحن عرب أم بربر؟، وهذا يستدعي وضع تخطيط لغوي يخلق تلك التوأمة بين اللغتين العربية والأمازيغية في هوية كل جزائري، لأنها بمثابة القوة التي تتحكم في الابنية والأنساق التي تقوم عليها ركيزة المجتمع الجزائري، حيث يمكن الاستثمار في التنوع الثقافي الذي تصنعه التعددية اللغوية بعيدا عن التوظيف السلبي الذي يشهده المجتمع من الصراعات والتوترات حول واقع اللغة المفتعلة من الداخل أول الخارج وتفعيل العربية الفصحى في المؤسسات والهيكل التي تساهم في بناء هويتنا اللغوية.

المراجع:

1. أحمد بناني، حتمية التخطيط اللغوي لصيانة اللسان العربي في الجزائر أعمال الملتقى الوطني حول: التخطيط اللغوي الجزائر : منشورات مخبر الممارسات اللغوية،، جامعة مولود معمري بتيزي وزو ، الجزء الثاني، ديسمبر 2012.
2. أحمد مختار عمر، أخطاء اللغة العربية المعاصرة عند الكتاب والاداعيين، نشر عالم الكتاب، ط2، 1993.
3. جون جوزيف، اللغة والهوية : قومية - إثنية - دينية، تر: عبد النور خراقي، عالم المعرفة ، الكويت، د(ط)، 2007.
4. جيلالي كوبيبي معاشو، مقارنة سوسولوجية للمد الاسلامي لجزائر ما بعد الاستقلال ، المواقف : مجلة الدراسات والبحوث في المجتمع والتاريخ، منشورات المركز الجامعي مصطفى اسطنبولي ،معسكر، عدد خاص 2008 .
5. حنيفة هلالى ، صفحات في تاريخ منطقة سيدي بلعباس 1843-1954، ج1، دار الأصول، سيدي بلعباس، ط1، 2013.
6. الشريف الجرجاني: التعريفات، دار عالم الكتب، بيروت، ط1، 1987.
7. عبد السلام المسدي، الهوية العربية والأمن اللغوي دراسة وتوثيق المؤلف، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، 2014.

8. عز الدين المناصرة، المسألة الامازيغية في الجزائر والمغرب: التعددية اللغوية، اطروحة: علي فهمي خشيم، دار الشروق، د(ط، س).
9. علي أسعد وطفة، إشكاليات العربية وقضايا التعريب في جامعة الكويت: آراء عينة من طلاب جامعة الكويت، العدد39، مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية، الكويت، ط1، 2014.
10. عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، دار الغرب الاسلامي، ط1، 1997.
11. غماري طيبي، خمسون سنة من التعدد اللغوي في المدرسة الجزائرية صراع هويات ينتهي إلى الأمية، مجلة المواقف للدراسات والبحوث في المجتمع والتاريخ، العدد (7)، منشورات جامعة معسكر، الرشاد للطباعة والنشر، سيدي بلعباس، 2012.
12. فاطمة داود، المستوى اللغوي في لهجة الغرب الجزائري، مجلة حوليات التراث - العدد 05، جامعة مستغانم، الجزائر، 2006.
13. للمزيد ينظر: سعيد بن عبد الله الدارودي، حول عروبة البربر: مدخل الى عروبة الامازيغيين من خلال اللسان، منشورات فكر، ط1، 2012.
14. محمد عمارة، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط1، 1999.
15. محمود شاكر، التاريخ الاسلامي: التاريخ المعاصر لبلاد المغرب، المكتب الاسلامي، ط2، 1992.
16. المقدسي(محمد بن احمد)، رحلة المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، حررها شاكر لعبيبي، ط1، 2004.
17. مهين حاجي زاده، فريدة شهرستاني، صله اللهجات المعاصرة بالفصحى وأثرها فيها، فصلية دراسات الأدب المعاصر الفارسية والعربية، السنة 3، العدد 11، جامعة آزاد الإسلامية، ذو القعدة 1432.
18. نصيرة زيتوني، واقع اللغة العربية في الجزائر، مجلة جامعة النجاح للأبحاث العلوم الإنسانية (المجلد 28)، العدد(10)، قسم اللغة العربية، آلية الآداب، جامعة حائل، السعودية، 2014.

19. ولهة حسين، المازيغية في الجزائر، بين الفعل التربوي والبعث السياسي ، أعمال الملتقى الوطني حول : التخطيط اللغوي الجزائر : منشورات مخبر الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري بتيزي وزو ، الجزء الثاني، ديسمبر 2012 .

20. بيير بورديو، العنف الرمزي: بحث في أصول علم الاجتماع التربوي، تر: نظير جاهل المركز الثقافي العربي، ط1، 1994.

المراجع الاجنبية:

21. Mohamed Bencheneb, Mots turks et persans conservés dans le parler algérien, THÈSE COMPLÉMENTAIRE, Présentée et soutenue devant la Faculté des Lettres d'Alger , 1922 droits réservés à l'Université d'Alger, 2012.

المواقع الالكترونية:

22. خولة طالب الإبراهيمي، المسألة اللغوية عند الجزائريين التعددية لا تلغي الوحدة الوطنية، تاريخ الاطلاع (2016/12/05)، الساعة (22:18)، انظر الموقع: www.djazairess.com

23. عبد العزيز بلفقيه، التعدد اللغوي واللبس الدلالي وأثره على التعلم، تاريخ الاطلاع 2016/12/11، الساعة (22:14)، أنظر الموقع: www.almothaqaf.com